

منهج شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس:  
وقاية ضد التطرف والإرهاب

الدكتور إبراهيم أحمد مقري

إمام الجامع الوطني النيجيري بأبوجا

4 أبريل 2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## منهج شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس: وقاية ضد التطرف والإرهاب

### مقدمة

الحمد لله حمدا جامعا لسائر وجوه المحامد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صاحب المرتبة الخاصة لمقامه ومرتبته صلاة تشمل أفعال الأكوان وسائر طاعاتهم من لدن آدم إلى ما لا نهاية له. وبعد،

فإن من أخطر ما يُحدِّق بالمسلمين اليوم كأمة شرر التطرف والغلو المستطير في جميع الآفاق، الذي يتجسّد في فوضى التكفير وسباق الفتوى بحلّ دماء الأبرياء العزل من المسلمين وغير المسلمين، وهذه ظاهرة يزداد سعيها لهيباً كلّ ساعة من نهار، ويتنامى سرطانها في جسد الأمة أكثر من أيّ وقت مضى، وثالثة الأثافي إن أكثر هؤلاء المتطرفين ينتسبون (بشهادة الميلاد) إلى الإسلام الحنيف، مع التضادّ المبين بين منهجهم ومنهج الإسلام الرشيد، فقد ذهب جمعٌ من العلماء إلى أن حفظ النفس مُقدّمٌ في مقاصد الشريعة على حفظ الدين، وجعل الإسلام منزلة من أحيى النفس (بحفظها عن الهلاك) كأنما أحيى الناس جميعاً، كما حرّم على الإنسان التصرف الذي يؤدي إلى إلحاق الضرر بنفسه، ناهيك عن نفس غيره، فقال تعالى: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"، ولا يخفك أن الإعلام الغربي قد استغلّ هذه الظاهرة وحدّثها ليحلّو له تصوير الإسلام ديناً متعطّشاً للدماء، ومرّوعاً للآمنين، ورافضاً للآخرين.

لقد بدأ هذا الأمر بطائفة من الشباب جمعوا أنفسهم في السجون، وكوّنوا عصابات وتكتلات لا تُراعي لغيرها إلّا ولا ذمّة، ولا تعترف بأن هناك إسلاماً سوى

الرقع التي قَطَعَتْهَا والشذوذات والأوهام التي سَوَّغَتْهَا، كَفَرُوا من سواهم من أهل القبلة، وأحلوا دماءهم، ولم يكن معهم من الثقافة الدينية سوى هذا البغض وهذه الكراهية ضد الأمة، ثم هذه الشهوة العارمة إلى الانتقام من الحكومات التي كانت في خلاف معها، واحتسبوا بقتل الأبرياء أجرا من الله سبحانه وتعالى عن أباطيلهم عُلُوءًا كبيراً.

وإن كثيراً من العلماء والمفكرين الإسلاميين درسوا هذه الظاهرة المقيتة واقترحوا حلولاً كثيرة لسدّها، منها السياسي والدبلوماسي ومنها الفكري والتربوي ومنها الكثير غير ذلك، ولكن الذي فاته أن ينطلق من القلب وتصفيته من كدرات الهوى وأدران الشيطان فقد فلت منه روح الحلّ وعقله. فالتجربة الصوفية هي أنجع الحلول وأعتى الحصون التي يمكن أن تحافظ على روح الإسلام في الأمة، وتعيدها إلى العرجون القديم كما كانت عند البعثة غضّاً طريّاً؛ لأن التصوف مبنيٌّ على التسامح والتألف والتحاب، يبتعد عن كلّ ما يُمْتُّ إلى الغلُوِّ أو التطرُّفِ بصلّة، فهو مبدئياً ينبني على الاهتمام بإصلاح الذات ثم الدعوة بالقُدوة الحسنة، بل إن منهجه انبني على قتل جميع حظوظ النفس التي تعتبر أكبر الأمراض التي يتمرغ فيها الإرهاب والتطرُّف.

وإن مولانا شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس رحمته الله مع كثرة أتباعه الذين يُعَدُّون بعشرات الملايين على الصعيد العالمي لم يتصف أحدٌ من تلامذته بالتطرُّف ولم ينضم أو يتعاطف أحد منهم مع الإرهابيين.. وهذا بشهادة وإجماع جميع الأجهزة الأمنية في الدول التي يوجد له أتباع وكثير ما هي. ومعنى كلّ هذا أن العالم آن له أن يتطفل على مائدة الشيخ رحمته الله حتى يُقدِّم له على طبق من ذهبٍ منهجه وتجربته الفذ، عسى أن يجتمع العالم يوماً ما على قلب رجل واحد، تتكافأ دماؤهم.

إن منهج مولانا شيخ الإسلام وإن كان صوفياً أيضاً إلا أن خلافته العظمى عن الحبيب المصطفى ﷺ تآبى أن يُفَرِّطَ في جانب دون غيره من جوانب الإسلام، فشيخ الإسلام ﷺ اختار لنفسه وظيفة علاج القلوب والأرواح، وقد أخرج القوم من خوانق الدراويش وحلّق المجاذيب إلى فضاء الحياة الرحب، حيث يعيش الإنسان مع الله بقلبه ومع أخيه الإنسان بجسده وعقله، يدعوهم إلى الله بقاله وحاله، من غير انفصام في الشخصية ولا استلاب في النفسية..، لمثال يحتذى به في لَمِّ الشمل ورأب الصدوع.

"فالراعي إن استقام في دينه اهتدى به الرعاة، وإن لم يدهمهم، وإن التاجر محل هداية للتُّجَّار إن استقام، والفلاح تجب عليه دعوة الفلاحين، مع الاستقامة أمامهم كي يقتدوا به لأنه من جنسهم ويعمل كعملهم، إذن فلا مجال لأن يقولوا لا يمكننا أن نعمل كعملك".

ليس للسلاح مكانٌ قط في دعوته، فأدواتُ الدعوة هي العلم والعقل، وعُدَّةُ الدَّاعيةِ ليس سوى الاستقامة والرغبة في رضوان الله، كما كان يقول: "ولا سيفَ إلا نحو سيفٍ قد اعتدى علينا..."، أقول، إن منهج هذا الشيخ لتحقيقُ بأن يكون الوصفة الأتوماتيكية لسدِّ نفوذ أعداء الحب والجمال، وهواة الدماء والهمجية.

علوت البحار الزاخرات، وإنني	علوت القرى والمزن بله الجبالا
أروم رضى الباري لنصرة دينه	وأبرز للجيل الجديد مثالا
ضعيفٌ عليلٌ شائبٌ متحمّسٌ	لينصر ديناً لا يريد قتالا
لأن النّبِيَّ الهاشمي الدهرَ ما غزا	بلى صدَّ عُدْوَانًا وردَّ ضلالا

## منهج الشيخ في الدعوة إلى الله

"لقد تدافعت الوظائفُ والمهنُ الشريفة إلى ساحة شيخ الإسلام كالمستعرضة، لكنه ﷺ أبأها جميعا واختار طبَّ القلوب ومداواتها من سرطان النفس وجراثيم الشيطان، أملا أن يحررها من عبودية المادة ويوثق من علاقتها برب العالمين" فقال: "إنني لو كان الله أذن لي بالتصرف في الوجود لرفعت همتي عن التصرف في غير إصلاح القلوب"<sup>(1)</sup>

وقد حدد الشيخ ﷺ لدعوته أهدافا لا يتأتى لمن يتبوأ السنام في الخلافة عن الله غيرها بحالٍ، بل إن ترتيبها أيضا لهو الترتيب العجيب، وإن كانت فيما يبدو وردت بلا كان ولا خان، كما يقول العارفون، في حوارهِ التاريخي مع السيد عبد الكريم النيازي، مجيبا عن سؤال الصحفي: "هل لكم يا فضيلة الشيخ أن تُلخِّصوا لنا أهداف دعوتكم؟" فقال الشيخ: "نعم وبكل سرور"، هي كالتالي:

- دعوة غير المسلمين ليدخلوا في دين الله، تاركين الوثنية والمسيحية.
- توعية المسلمين وإرشادهم حتى يستمر سيرهم إلى الله ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم.
- نشر لغة القرآن الكريم
- تعميق الشعور بالأخوة الإسلامية
- التعاون مع الحركات والهيئات الإسلامية في العالم
- التصدي للقوى التبشيرية والصهيونية<sup>(2)</sup>

جواهر الرسائل ص: 113

خمس وعشرون سنة على رحيل الشيخ للكاتب إبراهيم تيام ص: 78، طبعة دار النهار.

هكذا في توائم وتناسق عجيب تشكلت أهداف الشيخ رحمته الله، وكان الأزهر الشريف نظر في هذه الأهداف فاستخلص توصياته خلال مؤتمره لمواجهة التطرف والإرهاب بعد الحوار التاريخي بما يربو على نصف قرن<sup>(3)</sup>

وإذا أتيت لنا رواية هذه الأهداف الكبيرة بالمعنى نقول بأنها إذن: البيان-التعليم-التعاون-الحوار-ونشر الوسطية، وهي عناصر منضوية تحت قول الحق: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، كما قرّر ذلك الإمام الغزالي ومن جاء بعده من فقهاء الدعوة الموقّعين الواعين عن رب العالمين.

أ: البيان:

في رسالة له إلى أمير كنو سابقا صاحب السمو الأمير محمد السنوسي رحمه الله يقول شيخ الإسلام رحمته الله: "وأنا على عزمٍ على القيام برحلة إلى الشرقين الأدنى والأقصى بدعوة من بلدان شتى، الجمهورية العربية، والاتحاد السوفيتي، والصين، وبرنامج رحلتي كما يلي: من دكار إلى باريس، إلى الجمهورية، إلى بيروت، إلى طهران، إلى الهند، إلى سيكون، إلى هونغ كونغ، إلى الصين، ثم العودة إلى موسكو، إلى المغرب، إلى دكار"<sup>(2)</sup>.

هكذا يجوب رحمته الله آفاق الكرة الأرضية يحمل في صدره همًّا واحداً، وهو إنقاذ الإنسان من أغلال النفس وسلاسل الشيطان، فلا ينال راحة في القلب وفي الأرض

(3) الأزهر الشريف في مواجهة الفكر الإرهابي، من أعمال مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب، (القاهرة 11-12 صفر 1436هـ / 3-4 ديسمبر 2014م) باعتناء وتقديم فضيلة الإمام الأمير أحمد الطيب، شيخ الأزهر ورئيس مجلس حكماء المسلمين، الطبعة الثانية، دار القدس العربي، القاهرة، ص: 337-342

(2) في رياض التفسير للقرآن الكريم، كتابة الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله التجاني، الطبعة الثانية 2011م دار الشركة الدولية للطباعة، مدينة ست أكتوبر، مصر، ج: 1 ص: 9

آلهة مع الله، اصطنعتها نزوات الهوى ونزغات الشيطان، ووسيلته في كل ذلك الكلمة:  
إن عليّ إلاّ البلاغ، يقول ﷺ:

علوتُ البحار الزاخرات وإنني      علوتُ القرى والمزن بله الجبالا  
أروم رضى الباري لنصرة دينه      وأبرز للجيل الجديد مثالا  
ضعيفٌ عليلٌ شائبٌ متحمّسٌ      لينصر ديناً لا يريد قتالا  
لأن النبىّ الهاشمي الدهرَ ما غزا      بلى صدّ عدواناً وردّ ضلالا

هكذا ينصُّ صراحة على مناوآته لكل أشكال العدوان واعتماده فحسب على  
البيان في سوق العباد إلى الرحمن مقتفياً في ذلك أثر حبيبه المصطفى صلى الله عليه  
وآله وسلم الذي لم يقاتل إلا ملجأً ولرفع الظلم والعدوان، مصداقاً لقول الله تعالى:  
"أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ"، وكذلك منهج الشيخ  
ﷺ كما يقول في موضع آخر:

فلا سيفَ إلا نحو سيفٍ قد اعتدى      علينا، فلا نرضى بضميمٍ ولا بَرِّ  
فعمَّ هدى الهادي وعمّ سلامه      وحلّ التآخي موضعَ البغض والهمز  
فهل تجمعُ الأيام قوم محمد      على هديه، كي نستريح من الغمز

وهكذا أيضا بالبيان، وبالبيان فحسب، حقّق الله للشيخ ما عزّ مثله في  
التاريخ، ففتح به قلوباً غلقاً، وأعيناً عمياً وأذاناً صمّاً في مشارق الأرض ومغاربها،  
وأداته البيان الإسلامي السمح، وعمدته الإخلاص لوجه الله، بدون سلاح، أو تهديد  
أو ترويع، وإنما يُعلمهم الكتاب والحكمة فيؤمن من شرح الله صدره للإسلام (وكثير  
ما هم)، ففي مدينة تمل بدولة غانا، في يوم مشهودٍ دعا الناس إلى الإسلام وذكّرهم

الآخرة ورغبتهم في الجنة بنعيمها وسلسبيلها، ونورها، وحوورها، وعن النار بهجيرها،  
وزمهيرها، فبكى من بكى وسلموا رقابهم لله الواحد، ويحكي ذلك فيقول:

طَرْتُ إِلَى تَمَلٍّ وَقَصْدِي نَصْرِي      دِينَ الْمَهِيْمَنَ فَيُعَلِّي قَدْرِي  
جِئْتُ وَمَا أَمَكْنِي النُّزُولُ      مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ وَلَا الْحُلُولُ  
فَسِرْتُ فَوْرًا خَيْفَةً لِيَنْد      كَأَنَّ كُلَّ الْخَلْقِ صَارُوا عِنْدِي  
هُنَا عِرَانِي حِيَاءٌ وَخَجَلُ      مَا الْعَبْدُ إِبْرَاهِيمَ مَا لَهُ يُجَلُّ  
لَقَنْتُ آفَاءً وَلَنْ تُعَدَّ      كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فَاتُّوا الْحَدَا

إلى أن قال:

فَقُلْتُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ      مُحَمَّدٌ أَرْسَلَهُ إِلَهُهُ  
فَقَالَهَا الْكُفَّارُ وَالْمَجُوسُ      وَالْأَمْرَاءُ فَطَابَتِ النُّفُوسُ

إنَّ الشَّيْخَ عليه السلام يَكْرَهُ إِذَايَةَ أَيِّ إِنْسَانٍ كَانْنَا مِنْ كَانٍ، وَيُرَبِّي تَلَامِذْتَهُ عَلَى أَنْ يَكُونُوا  
إِجَابِيِّينَ، بَرِيدِي خَيْرٍ، وَسَفْرَاءَ سَلَامٍ فِي الْعَالَمِينَ، يَقُولُ لَهُمْ: "إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْفَع  
جَمِيعَ الْمَخْلُوقِينَ فَانْفَعِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَايَاكَ أَنْ تُوْذِيَ أَيِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ"<sup>(1)</sup>  
بَلْ إِنَّهُ لَا يَرْضَى لِأَتْبَاعِهِ إِلَّا الصَّبْرَ عَلَى الْإِذَايَةِ دُونَ النُّزُولِ إِلَى مَا سَمَحَتْ لَهُمُ  
الشَّرِيعَةُ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِالمَثَلِ:

لَا تُضْرِبُوا أَحَدًا، لَا تَشْتَمُوا أَبَدًا      وَإِنْ ضَرَبْتُمْ فَصَبْرٌ إِنَّكُمْ صُبْرٌ

(1) سعادة الأنام بأقوال شيخ الإسلام، طبعة الشركة الدولية للطباعة ص: 27

وكيف يحب إذاية أحد من كان هدفه هداية البشرية جمعاء، وسوقهم إلى الله رب العالمين، يقول ﷺ:

والأُمَّةُ قصدي فيهمُ أن أسوقهم إلى حضرة البرِّ الرَّحِيمِ إلينا  
وتعلمُ هل في الخلق أحنى عليهم مدى الدهر مني والبعيدُ كما دنا

وهكذا بالبيان وحده انصاع له ما ينيف على ستة وأربعين مليوناً<sup>(2)</sup>، وذلك ما لم يسبق له مثل من غير سيف ولا سلطة رادعة، ومن أقواله المشهورة: "من امتثل بأمرى فلا يشتغل إلا بهذا، ومن لم يشتغل فما أنا بصاحب سيف، وما على الرسول إلا البلاغ المبين"<sup>(3)</sup>

## ب: التزكية:

إذا كان الغزو مما لا محيص عنه فهو عند شيخ الإسلام غزو عواصم القلوب ليأسرها الحق ويفتحها اليقين، فقد رأينا كيف أدار ظهره للوظائف واختار طبَّ القلوب، فقال ﷺ: "لو كان الله أذن لي بالتصرف في الوجود لرفعت همتي عن التصرف في غير إصلاح القلوب".

فإن إصلاح الأمم مُوَكَّلٌ بصلاح قلوبها، وإن التردّي الأخلاقي والإفلاس الروحي هما السبب المباشر لانحطاط البشرية إلى أسفل المدارك في عالم اليوم، وإن الشيخ إذ يتحدث عن توعية المسلمين وإرشادهم حتى يستمر سيرهم إلى الله، فإنما يتحدث عن تزكية قلوبهم وتربية أرواحهم وتغذية سرائرهم للكينونة مع الله تعالى وإدراك

(2) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ص: 57 وذكر الإمام الحسن بن علي سبب أنه رأى في المتحف البريطاني أنه دخل في الإسلام

في ذلك اليوم أكثر من أربعة آلاف شخص، وانظر مجموع رحلات الشيخ إبراهيم ص: 98

(3) حواهر الرسائل ص: 40

سريان آثاره وحكمه جل في علاه في مرآي الوجود، وهذا بدون شك أكبر مناعة ضد الانحراف أو التطرف.

والأمة قصدي فيهم أن أسوقهم إلى حضرة البرّ الرحيم إلهنا

وتعلم هل في الخلق أحق عليهم مدى الدهر مني والبعيد كما دنا

وإن براءة مدارس التزكية النفسية وأتباع الطرق الصوفية من التطرف وخلو مناهجها وزواياها من كل إرهاب أو ترويع لخلق الله، لا تحتاج إلى أن تُساق بين سلاسل وأغلال الشواهد، وإلا فإن ملايين الزوايا المنتشرة في ربوع العالم كلها حصون للروح والعقل ضدّ تيارات التطرف والإرهاب.

ويندرج تحت هذا المحور التعليم الإسلامي عندما يأخذ مساره الصحيح لأن ضيق الأفق والتخندق الثقافي من أكبر ما يؤدي بالإنسان إلى عدم قبول الآخر، ورؤية الصواب في منظور واحد، واحتكار الحق، ولو أن الإنسان قد تثقف بالعلوم الإسلامية ورأى كيف يختلف العلماء في مسائل كبرى ثم لا يزالون يحترم بعضهم البعض، سيعرف أن الصواب له وجوه كثيرة، وأن الطريق إليه أكثر مما يتصور.

ولأن الشيخ رحمه الله قد تدرج في مراقي العلم حتى استوى على ذراه وتبوأ سنامه، فقد أولى التعليم عناية خاصة لما له من فائق الأثر في ضبط النفوس وتعديل المزاج، حتى لا تنفلت من وضعها الطبيعي إلى الهمجية؛ ولذلك كان آية في نشر العلم وفتح المدارس، فلم يفتأ يجلس إلى طلاب العلم، ويحرر الفتاوى للنائين منهم، ويؤسس المدارس في الحواضر والبادي، ويُجدد في المناهج وطرق التعليم بما يواكب الزمن.

لقد أنشأ الشيخ مدارس ومعاهد لتعليم الشباب أصول دينهم، كما فتح وحرّض على فتح مراكز لتحفيظ القرآن الكريم بدون مقابل، مما جعل أكثر أتباعه

حفظةً للقرآن، وأوعيةً للعلم، وحملةً للسنة، داعين إليها الخلق، وقد دعا الأزهر الشريف وسائر الجهات المعنية بالشرق الأوسط أن تُمدَّ إلى إفريقيا يد العون من خلال فتح المدارس، وبعثة العلماء الأكفاء لتعليم الصبية والشبان، وإهدائهم الكتب العلمية.

ومن مظاهر اهتمامه بنشر العلم في أوساط الشباب أنه "كُلَّمَا حفظ ولدٌ أو بنتٌ القرآن يُقيم حفلَ تكريمٍ مكللاً بالثناء على أهل القرآن العظيم، ويختتمه بتوزيع جوائز تشريف وتكريم، أما الأبناء الحفاظ فينتظرهم تشجيع المنح إلى البلاد العربية لمتابعة الدراسات الشرعية، وأما البنات فينتظرهن ما يناسبهن من استقرار شريف في أماكن شريفة"<sup>(1)</sup>

وفي محاضرة ألقاها شيخ الأزهر السابق الشيخ الدكتور عبد الحلیم محمود رحمه الله تعالى بجمهورية "تشاد" بالعاصمة (انجمينا) يوم الأحد 23-01-1978م قال:

إن في الناس باستمرارٍ طموحا إلى درجة القرب، هنا وهناك وفي هذا القطر وفي ذلك، فمن أراد أن يعارض التصوُّف ويعارض القرب إلى الله سبحانه وتعالى فلن يستطيع مهما فعل...، حينما ذهبْتُ إلى "السنغال" رأيت أن مكانة الطريقة في المجتمع إنما هي بعدد المعاهد التي تفتحها: المعاهد التي تُعلِّم اللغة العربية، المعاهد التي تعلم القرآن الكريم، والطريقة التجانية هناك منتشرة، والمعاهد التي تفتحها الطرق التجانية كثيرة، وكما قلت تتنافس الطرق في افتتاح المعاهد – المعاهد التي

(1) في رياض التفسير، ج: 1 ص: 15

تعلم اللغة العربية: لغة القرآن لغة الإسلام – المعاهد التي تعلم الدين الإسلامي حتى لا يعبد الله بالجهل<sup>(1)</sup>.

### ج: التعاون مع الهيئات الإسلامية:

كان مولانا شيخ الإسلام ﷺ يمد يد العون إلى كل من يحتاج إليها ولو كان في آخر الأرض، كما يبدي الاستعداد للتعاون مع كل من يسهم في تسهيل إبلاغ الدعوة، وقد مرّ بنا كيف دعا الجامع الأزهر الشريف وخادم الحرمين الشريفين وسائر الجهات المعنية بالشرق الأوسط إلى فتح مراكز لتعليم الشباب دين الإسلام واللغة العربية في إفريقيا وبعث علماء أكفاء لتعليم الشبية.

ومن أظهر مظاهر تعاونه مع الهيئات الإسلامية سعيه الحثيث في تأسيس بعضها، وفي مشاركته في بعضها الآخر، واذكر على سبيل المثال لا الحصر أنه:

- كان الرئيس المؤسس لمنظمة الاتحاد الإفريقي الإسلامي.
- كان المؤسس لرابطة أنصار الدين
- كان المؤسس لمنظمة فتیان الإسلام لأتباعه النيجيريين
- كان نائب رئيس المؤتمر الإسلامي بكراتشي
- كان عضواً تأسيسياً لرابطة العالم الإسلامي
- كان عضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة
- كان عضواً في اتحاد الجمعيات الإسلامية بالرباط

(1) التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجيريا، لمولانا الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، رضي الله عنه،

- كان عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة
- وكان عضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجزائر... وتستمر القائمة، وإنما أردنا التمثيل.

ليس على الله بمستعظم أن يجمع العالم في واحد

"بل إن شغف شيخ الإسلام بإشاعة الرحمة والهدى جعله يضع يده في يد من يناوئونه ويكيدون له في الجهر والخفاء، فهذا الذي توّلى كبر الفرقة الوهابية في نيجيريا، وأعلن حرباً شعواء ضدّ أتباع الطرق الصوفية، وضدّ تلاميذ شيخ الإسلام على وجه الخصوص يستعين بمولانا الشيخ رحمته في محاربة الوثنيين فيبادر شيخ الإسلام بإسعافه وتلبية دعوته على ما يعلم في الرجل:

وتحدثنا مع الأخ قاضي قضاة نيجيريا الشمالية  
فأرى منه رغبة في تعاون جمعياتكم مع  
جمعياتهم لتكون قوة كافية للقيام بدعوة  
الوثنيين إلى الدين الإسلامي.<sup>(1)</sup>

وإن تعجب فعجب كون الرئيس النيجيري المسيحي يعقوب غوون يبني علاقة جيّدة مع الشيخ رحمته حتى سمّى ابنه على اسم الشيخ تيمناً، ويقول غوون واصفاً هذه العلاقة: "فعلقتي به كانت قوية رغم اختلاف العقيدة بيننا، إلا أن ذلك لم يكن يُقلقه إطلاقاً"<sup>(1)</sup> ومثل ذلك العلاقة الإنسانية التي تربطه مع الرئيس الغاني كوامي انكروما الذي كان يستشيريه في أمور كثيرة.

(1) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ص: 61-62  
إنسانيات داعية: رصد عن كتب للجانب الإنساني من حياة شيخ الإسلام، تأليف إبراهيم بن البشير علي سيس، طبعة مكتبة الجندي، ص: 67

## د. الحوار العلمي:

إن الحوار هو الوصفة الأخيرة لمعالجة الخلاف والتطرف والغلو والإرهاب، لأنه يجب أن تنصت للمخالف حتى تعرف وجهة نظره، وكم من خلاف كاد أن يهريق دما لم يُفُضَّه سوى الحوار العلمي بهدوئه ورزاقته، تهُبُّ فيه الكلمات من الجانبين نسائم تُنْعِشُ، لا قذائف تدمّر.

وقد اعتمد الشيخُ طريقَ الحوار في فضِّ كثير من الخلافات الصغيرة والكبيرة، بل وحتى في حال التوافق بيني جسرا بين الشطّين، ومرجا يجمع البحرين، ولذلك كان يميل إلى المأسسة في كل شؤونه، فيؤسس الروابط والجمعيات والمنتديات، ويشارك فيها.

وكان لأسلوب حوارهِ صدى عميق وأثرٌ بعيد في جميع الهيئات التي شارك فيها، فقد كان يقف مع الحق دائما بصرف النظر عن تخدم، حدث أنه مرة حضر اجتماع رابطة العالم الإسلامي يناقشون مسألة حول الاسترقاق في الإسلام الذي ادعى الشيخُ الأصوليُّ محمد أبو زهرة المصري بأنه لا أصل للرقّة في الإسلام وإنما هو المنُّ أو الفداء، واستدل بآية "وَإِذَا أَخْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا"، فهض الشيخُ ﷺ قائلا: اليوم تتعجبون، حيث يأتي أبيض وينفي الرقة، ليأتي أسود ويثبتها، وذلك دليلٌ على أننا ندور مع الحق أينما دار، إن الإسلام قد أثبت الرِّقَّةَ ولكنه خفف من وطأتها وأرسل أزرارها بطرق كثيرة، والآية التي استدل بها المتكلم على نفي الرقة هي التي تثبتها، فلو لم يكن الاسترقاق موجودا لما كان هناك فائدة في ذكر المنِّ والفداء.. إلخ في قصة طويلة<sup>(1)</sup>.

(1) سمعا عن تسجيل للأستاذ إبراهيم جوب، سكرتير الشيخ، في محاضرة بمدينة كنو تحت عنوان "عالمية الشيخ إبراهيم رضي الله عنه.

ومثل ذلك مسألة زيارة قبر رسول الله ﷺ التي كانت موضوع المناقشة يوماً ما،  
وارتجل الشيخ أبياته الشهيرة:

هو الحَبُّ إبراهيم قد جاء زائراً      لأحمد خير العالمين وشاكراً  
ومن كان ينحو للمدينة زائراً      سواه، فإني جئت أحمد زائراً

وإن كثيراً من كتبه ورسائله أو فتاواه المحررة كانت لبيان موقفه من مسألة  
مختلف فيها بين العلماء، ومن طريف ما يذكر قصة كتابه "سبيل السلام في إبقاء  
المقام" الذي كان بَرَقِيَّةً إلى الرابطة المذكورة سابقاً، يحذر فيها الرابطة من تحريك  
مقام إبراهيم من مكانه، فقال بأنهم إن حركوه، فسيظل يُحرَّك من مكان إلى آخر،  
حتى يدخل إفريقيا وإنه إن دخل إفريقيا فلن نسمح بخروجه منها أبداً، وكذلك قصة  
كتابه "مسألة غزو الفضا" وكتاب "الحجة البالغة في أن إذاعة القرآن في الراديو  
سائغة" وغير ذلك الكثير. وهذه وإن كانت كتباً إلا أنها في موقف الحوار الذي يعني  
الأخذ والعطاء مع المخالف.

وإن تسامح الشيخ وبعده أُنْفِقَه قد سمح له أن يسافر إلى دولة الصين  
ليستجيب لدعوة حوار مع أحد أساطين الحركة الاشتراكية، وهو "ماوتسي تونغ"  
وكان الرجل يسعى إلى أن يستقطب الشيخ ﷺ لنصرة الدعوة الاشتراكية، ويطلب منه  
أن ينشرها في القارة السمراء لما له من عظيم الأثر فيها، ولكن الشيخ ﷺ بين له في  
شجاعة المؤمن القوي أن الاشتراكية تخالف الإسلام الذي وقف نفسه لنشره، ونبذ  
كل المغريات المادية التي عرضت له ليهتف قائلاً:

تمسك بأذيال النبي متابعاً      مذاهبه والمحدثات فلا لا  
فتغنيك عن دستور كوز وخالد      وتغنيك عن جون يروم محالا

فما نابليونٌ أو لنين وماركس بموحى إليهم، خلّ عنك خبالا

هـ. نشرالوسطية:

لعل هذه الكلمة الأشهر في تاريخ مكافحة الإرهاب والتطرّف والغلو، وإن التصوف بصفة عامة أعظم نزعة تعلم الإنسان وتربّيه على هذه الوسطية والسماحة وقبول الآخر، وقد ضرب فيها شيخ الإسلام أمثلة رائعة ينبغي للعالم أن يأتسي بها إن أراد مكافحة التطرف والغلو والإرهاب؛ لأنه كان يرى الإنسانية منزلة سامية لا يمكن له أن يخترق حرمتها، وناهيك عن الدين الذي هو موضوع دعوته الكبرى، فتراه يتعامل مع كل إنسان مسلم أو غير مسلم في الحدود التي خوّلت له الشريعة، كما سبق عن علاقته ببعض المسيحيين التي لا عنف فيها ولا إرغام، وإنما هي دعوة وبيان.

وإن وسطيته السامية هذه هي التي جعلته لما رأى تطرّف الناس وتزمتهم بل وتقوقعهم على التراث والمعهود حتى جعلهم ذلك يحرمون إذاعة القرآن في الراديو هبّ في عجالة وأملى كتابه يبين أن النص قابل لتفسير أخرى حسبما يأتي به الزمان، ونبه على أن يفيق الجميع ويفكروا بعقول عصرهم، فلا يجسسون أنفسهم في التفسيرات القديمة التي قد لا تناسب العصر الذي نعيشه، ومثل ذلك مسألة غزو الفضاء التي كان كثير من العلماء الأفارقة لا يرون إمكانيته أصلا حتى يفكروا صائبين في حكمه، فإذا بالشيخ يؤلف في ذلك ويبين وجه الصواب، وقُلْ مثل ذلك في مسألة زكاة هارين والصلاة في الباخرة وكثير غيرها.

وإن روح الوسطية تبلغ أوجها، وتصل السماحة إلى ذروتها عندما يزور الشيخ في مدينته أحد المرجعيات الشيعية الشيخ موسى الصدر والد مقتضى الصدر، فيقدّمه الشيخ ﷺ ليؤمّ الناس في الصلاة، ويُسأل في ذلك فيقول: "ما رأيته إلاّ مسلماً" أي أن الصلاة جائزة وراء كل مسلم، وهذا مسلم<sup>(1)</sup>

### خاتمة ببعض مواقف الشيخ ضد التطرف

كان الشيخ ﷺ عميق الشعور بمشاكل الإنسانية التي استحمل واجب إنقاذها من وهدة الضياع العولمي الذي يجتاحها، وكان يطوي الأرض سائراً وطائراً وسابحاً راجياً أن يهدي الله به رجلاً أو رجلاً إلى الإسلام، وينقذهم من براثن الشيطان ومخالب النفس الأمارة، وكان يقول: "لي نظرة إلى ابن آدم يستحيل معها البغض"<sup>(1)</sup>، وأنى للطبيب أن يبغض مريضه مهما ارتكب من حماقة؟! فهو لا يعرف نفسه فضلاً عن مداويه، فلو لم يصبر على حماقات مريضه لما استطاع مداواته، وكذلك شأن الشيخ ﷺ.

فقد مرّ بنا كيف أحسن التعامل مع غير المسلمين حسب سماحة الشريعة الإسلامية، مثل علاقته الطيبة مع رئيس نيجيريا السابق (يعقوب غوون) الذي -من شدة إعجابه بأخلاق الشيخ- سمّى ابنه على اسم الشيخ، وكذلك علاقته المشهورة برئيس جمهورية غانا (كوامي نكروما) الذي كان يستشير الشيخ في كثير من أموره.

"وعندما حُكم بالإعدام على المفكّر الإسلاميّ الكبير "سيّد قطب" كان الشيخ من الذين راسلوا الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر شافعاً فيه ومبيناً له

(1) إنسانيات داعية ص: 70

(1) إنسانيات داعية ص: 66

مغبة تنفيذ الحكم، ولكن الرئيس اعتذر بتأخر الرسالة، وعندما وصلت كان الحكم قد نفذ"<sup>(2)</sup>. ويا ليت شعري! ما هي العلاقة التي تجمعها مع هذا المفكر سوى الإسلام الحنيف؟!

ويروى أنه نُعي إليه شخصٌ كان يكيد له ولأتباعه في السر والعلن، وكان الشيخ جالسًا بين المريدين، فقال: الحمد لله! فسكت الجميع، ثم قال بعد هنيهة، ألا تسألونني فيم أحمد الله؟ فأجابوا بأن الأمر واضح، فالرجل قد آذاك وآذى أصحابك، وقد توفاه الله وكفاه شره، فحمدت الله، فقال لهم: لا ليس الأمر كما تتصورون، وإنما فتشت في قلبي ساعةً نُعي إليّ فوجدتني -رغم كل ما ذكرتم- لا أضمر له أيّ حقدٍ أو ضغينة، وعلى هذا حمدتُ الله<sup>(1)</sup>.

وفي ذلك الحوار التاريخي الذي أجراه معه السيّد عبد الكريم النّيازي بالحجاز، سأله عن عدد أتباعه، فأجابه الشيخ فوراً: "أنا لا أعلم عددهم، ولم أحاول ذلك، فالذي يُهمُّني في الدرجة الأولى هو أن يهدي الله فردًا أو أفرادًا إلى دينه الحقّ على يدي أو على يد غيري، ولست مؤسسَ حزب أو زعيمَ طائفة".

وإن أردت أن ترى عياناً كيف دكَّ قُصور التطرّف والإرهاب فاذهب إلى عاصمة فيضته "مدين" وما أدراك ما "مدين"؟! "لترى كيف انصهرت القبليّة، وقام على أنقاضها رباط الأخوة الإسلاميّة، ترى شتى القبائل التي لم تكن تجمعها أيّ أصرة ديمغرافية تخلّصت من العصبية واحتضنتهم جنسية واحدة، هي إسلام الوجه

(2) المصدر نفسه ص: 68

(1) حكي القصة الأستاذ برهام جوب في إحدى محاضراته باللغة الولوفية، والترجمة من السيد إبراهيم بن البشير سيس في كتابه المذكور

سابقاً ص: 68-69

لربّ الناس.. ملك الناس.. إله الناس.. لا فضل لجنسٍ على جنسٍ، ولا لقبيلةٍ على  
أخرى... والبعيد كما دنا.<sup>(3)</sup>

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ص: 59